# حسنُ بنُ سليمان الحليُّ

## محدِّثٌ مُتكلمٌ في امتداد مدرسة قم الحديثية وفي مقابل المتكلّمين

السيد أحمد الطباطبائي
د. محمد رضا جعفري
ترجمة: مركز العلّامة الحلّيّ وحدة الترجمة

الملخص

ينتمي الشيخُ حسن بن سليمان الحليّ إلى اتِّجاه المحدِّثين المتكلمين في مدرسة الحلة الكلامية، فروى الأحاديث في مؤلفاته بطريقة خاصة وهادفة لعرض الآراء الكلامية، وقد اختلفَ مع عقلانية المتكلِّمينَ في قضايا علمِ الكلامِ وعدولهم عن ظاهرِ رواياتِ الأئمَّةِ عليهم السلام، فخالفهم بذهابِهِ إلى أنَّ المعرفةَ اضطراريَّة، واعتقد أنَّ الله تعالى أودع عباده معرفته ومعرفة أوليائه في عالم الذرِّ.

كما رَدَّ في كتابه «تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة» وجهةَ نَظَرِ الشَّيخ الطُّوسيّ، ورَأى أَنَّ الأئمَّةَ عليهم السلام أفضلُ مِن جميع الأنبياء حتَّى أولي العزم ما عدا خاتمهم.

وفي بَحثِ الإرادَةِ أَقَرَّ بأنَّ إرادةَ الله هي إحدَى مُقدِّماتِ فِعله، في حين رأَى المتكلمونَ أنَّ إرادتَه هي عين حدوث فعله، واقتفى آثار الأحاديث المنقولة عن مشايخ قم، فبيّنَ أن نفي التفويض هو في حيّز التكوين، بيد أن التفويض اتَّخَذَ معنَى الإباحة، ونفيه مقتصرٌ على الأمور التشريعية لدى المتكلمين، وعارض بعضَ رواياتِ الشَّيخ المفيد التي أوردناها في البحث.

الكلمات المفتاحيَّة:

المتكلمون، المحدّثون، مدرسة قم الحديثية، مدرسة الحلة الكلامية الحديثية.

# Hassan bin Suleiman Al-Hilli A muhaddith speaker in the extension of the Qom al-Hadithiya school and across from the speakers

*Mr. Ahmed Al Tabatabai*
*Dr.. Mohammed Reda Jaafari*
*Translation: Salah Abdel-Mahdi*

## Abstract

*Sheikh Hasan bin Suleiman Al-Hilli belongs to the direction of the hadiths speaking in the school of al-Hilla, and he narrated hadiths in his books in a special and targeted way to present the verbal opinions, and he disagreed with the rationality of the speakers in issues of theology and their deviation from the apparent narratives of the imams ^. That God Almighty entrusted his servants with his knowledge and the knowledge of his guardians in the world of adhur.*

*He also responded in his book, "The Imams' Preference over the Prophets and the Angels, "the viewpoint of Sheikh Al-Tusi, and saw that the Imams are better than all the prophets, even the most determined, except for the last of them .*

*In the study of the will, he acknowledged that the will of God is one of the precursors to his action, while the speakers saw that his will is the exact occurrence of his action, and he traced the traces of the hadiths transmitted from the sheikhs of Qom, so he indicated that the delegation took the meaning of permeability and its denial of the mandate is in the realm of formation. Legislative matters among the speakers, and he opposed some of the narrations of Sheikh Al-Mufid that we mentioned in the research.*

*key words :*

*The speakers Al-Muhadditheen, Qom Al-Hadithiyyah School, Al-Hillah Al-Hadithiya School.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## المقدمةُ

لأحاديثِ الأَئِمَّةِ عليهم السلام دورٌ مركزيّ وأساسيّ في قضايا علم الكلام لدَى علماءِ الإِمَامِيَّةِ المُتَقَدِّمين، فَاستقَى منها اتِّجاها المُحَدِّثينَ والمُتَكَلِّمينَ المعرفة الاعتقادية في مدرسة الكوفة الكلامية، ولكن بفارق هو إلزام المُحدِّثينَ أَنفسهم بنصوصِ رواياتِ أهل البيت عليهم السلام ومثابرتهم على البقاء في أُطُرِهَا، وتَوَلِّي المُتكلمين عمليةَ التَّدَبُّرِ في المفاهيم الدينية والتَّنظيرِ لها بِأَدبيَّاتِهم الخاصة خارج متنِ الوحي، ومع هذا لا يرون أنفسهم أَيضًا خارجين عن دائرة الوحي الإلهيّ، فَحَازَ الحَدِيثُ لَدَيهِم دَورًا رَئيسًا في المواضيع الكلامية[1].

شهد القرن الثاني الهجريّ هجرةَ رواةِ الحديث الشيعة من الكوفة إلى مدينة قم، ونَقَلُوا لهَا التراثَ الروائيّ للإماميَّةِ، فتحوَّلتْ تَدريجيًّا إلى معقلٍ لمعتنقي المذهب الاثني عشري، واحتضنت اتِّجاه المُحدِّثين بنشاطات فاقت نشاطات المتكلمين، ومع هذا فقد امتدّ إليها اتّجاه متكلمي الكوفة عن طريق إبراهيم بن هاشم وعليّ بن إبراهيم ومحمد بن يعقوب الكُلينيّ[2].

نقطة التَّحوُّل في تاريخ علم الكلام الإمامي تتمثّل في مدرسة بغداد، فقد ظهر علماء إماميُّونَ مُتعدِّدونَ انبروا لتأليف كُتُبٍ كثيرةٍ في العلم المشار إليه، كما تراءَتْ في هذه الحقبةِ التاريخيةِ لكلام الإمامية نقاشَاتٌ كثيرةٌ مع الاتِّجاه المعتزليّ، تَرَكَتْ بَصَمَاتها عليها.

مال علم الكلام الإمامي في مدرسة بغداد إلى النَّزعَةِ العَقلَانِيَّة، فَفَقَدَتِ الأَحاديثُ حياله دورها المحوري، وبرز منها علماء - كالشَّيخ المفيد والسَّيِّدِ المُرتَضَى - لم يعترفوا بحجيَّةِ خَبَرِ الوَاحد، فرَكنوا بعضَ الأحاديث جانبًا

ولم يأخذوا بها، وأَوَّلُوا بَعضًا آخر منها لمخالفتها للعقل. وأما القُطبُ الأَسَاسيُّ لمواضيع العلم المذكور في هذه المرحلة فَهوَ البراهينُ العقليَّةُ، ولذا اتَّخَذُوا الأحاديثَ مُؤيِّدات لهم في الأعمِّ الأغلبِ.

مدرسة الريّ الكلامية اقتفت آثار مدرسة قُم في حياة الشَّيخ الصَّدوق، ولمْ يُنظر إليها على أنها مدرسة مستقلّة، فانتشرتْ في المدينةِ المذكورةِ آراءُ المُحدِّثين القُمّيينَ وأفكارُهُمْ، وبخاصة الشيخ محمد بن بابويه القمّي الصدوق، ولكن بعد وَفَاتِه وازدياد شهرة الشيخ المفيد، رَحَلَ بَعضُ عُلمائِها إلى بغدادَ وأخذوا عنه وعن السيِّد المُرتَضَى، فَاكتَسَتْ آراؤُهُم في علم الكلام بَعضَ سِماتِ مدرسةِ بغدادَ الكلاميَّةِ.

نَشِطَ علميًّا في مدرسة الريّ اتِّجاه المتكلمين والمحدِّثين المتكلمين، ولكنْ ينبغي الاعتراف بأن تلك المدرسة هي امتداد لمدرسة بغداد، وجوهرُها هو الخطُّ الفكريُّ للمدرسة الأخيرة، وعلى الرغم من الاتجاه الحديثيِّ لبعض المنتمين الى مدرسة الرَّيّ لكنَّهم في الحقيقة يشرحونَ أفكارَ مدرسة بغداد في قالب حديثيٍّ. وبعبارة أُخرَى: لا يُوجَدُ بَونٌ شاسعٌ بينَ مَدرستي الرَّيّ وبغداد من حيث المضمون، ويعودُ أساسُ التفاوت بينهما في طريقة التفكير ومنهجهِ[٣].

مدينة الحلة رمقت انتعاشًا مُجددًا لاتِّجاه المُحدِّثين الذي فترتْ نشاطاتُهُ في القُرُونِ السَّابقَةِ قِياسًا إلى المتكلِّمينَ، وبَرزَ فيها السيد ابن طاوس، وهو ممَّن تحلَّى بنزعة إلى روايات الأئمة عليهم السلام واتّخذ موقف الناقد المعارض للمتكلمين، فأشار في «كشف المحجة» إلى روايات ذم الكلام، وحذّر ابنه من هذا الاتجاه عادًّا العلم المذكور سبيلًا بعيدًا وطويلًا لمعرفة الله تعالى[٤].

وحســن بن سليمان الحلي من العلماء ذوي النزعة الحديثية أيضًا في مدينة الحلة، وعلى الرغم من أنَّ مؤلفاته مشحونة بروايات المعصومين عليهم السلام وأحاديثهم، ولكــن النظر في تلــك المؤلفات يترك الميــدان رهوًا لكي نــدرك أنه ليس محض محدّث، فهو ذو منهــج كلاميّ تُفصح عنه توضيحاته في نهاية بعض الروايات، وعرض آراء كلامية في موضوعات شــتى لعلم الكلام، وتأليف كتــب من قبيــل «تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبيــاء والملائكة» و«المحتضر»، ونقده للمتكلمين، ومنهم الشيخُ المفيدُ والشَّيخُ الطُّوسيُّ.

لقد ســعى إلى إثبــات أنَّ المُتكلمينَ أَنكــروا أَو أَوَّلُــوا بِعقلانيتهم بعضَ الروايات في مختلف موضوعات علم الكلام من دون جدوى، وتَنَكَّبُوا بذلك عن صراط أحاديث الأئمة عليهم السلام. وفيما يلي من بحثنا ســنقفُ عندَ مسائل شَتَّى في علم الكلام مُوَضِّحينَ بِالتفصيل مُوَاجَهَته لاتِّجاهِ المُتَكَلِّمِينَ الإِمَامِيَّةِ.

## المعرفة الفطرية

### هل المعرفة اضطرارية أم اكتسابية؟

المعرفــة الاضطرارية من البحوث المهمة التي ظفرت بأراء ونظريات مختلفة في تاريخ علم الكلام لدى الإماميــة، فبينما قال بعض علمائهم باضطرارية المعــارف، واعتبروهــا فعل الله ســبحانه بحيــث يفقد الإنســان أي دور في تحصيلها، ذهــب بعض آخر منهم إلى أن معرفة الله اكتســابية، وحصولها متوقّف على النظر والتفكير والاستدلال.

محدّثو مدرســة قــم الروائية الكلامية رأوا المعرفــة اضطرارية وهي فعل الله ســبحانه، فنقل الكليني في «الكافي» والصدوق في «التوحيد» روايات تبــيّن أن هذه المعرفة فعل الله تعالى وليس للإنســان دور في حصولها، فروى محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، عن الإمام

الصادق عليه السلام حديثًا يسأله فيه الرواي: «المعرفة من صنع من هي؟ قال: من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع»[٥].

وأحاديث أهل البيت عليهم السلام أيضًا نفت تمامًا وجود أداة ينال الإنسان بها المعرفة، وأوكلت بيانها إلى الله تعالى، فاستشهد الإمام الصادق عليه السلام بآية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٦] و ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[٧] ليثبت أن تكليف أي شخص بمقدار ما أعطاه الله، وحينما يكون التكليف بمقدار العطاء، سيكون سؤال الله وحسابه في يوم القيامة بالمقدار نفسه[٨].

اعتقاد الإمامية بفطرية المعرفة خضع للتغيير في مدرسة بغداد، فكبار علمائهم الذين كانت لهم قراءتهم وأسسهم المتباينة مع الكوفيين ولم يسلّموا لكل رواية، مالوا إلى نظرية اكتساب المعارف.

بدايةً قَدَّمَ آلُ نوبخت في بغداد وجهةَ نَظَرٍ مُتباينَةٍ معَ الكوفيين وطعنوا في اضطرارية جميع المعارف، فقال أبو محمد حسن بن موسى النوبختي بأنَّ المعارفَ ليست اضطراريَّة في عمومها، فهي إما جائزة وإما اكتسابية وإما اضطرارية، ولهذا السبب لا يجوز الأمر بالمعرفة؛ لأنها ليست مودعة فطريًّا في ضمائر البشر وكيانهم، بل أعطيت لبعض اضطراريًّا، وعلى بعض آخر أن يحصل عليها بالتفكّر والتدبّر[٩].

واعتبر أبو سهل النوبختي المعرفة بنحو عامٍ نتاج الاستدلال والفكر والدليل، ولم يعتقد باضطرارية المعارف[١٠].

الشيخ المفيد صرّح أيضًا بإكتسابية معرفة الله والأنبياء عليهم السلام وكل مغيّب، ولم يجوّز الاضطرار بنحو كلّي في المعرفة[١١]؛ ولأنه أنكر اضطرارية المعارف، شرح وأوَّل بنحو آخر أدلة القائلين باضطراريتها، فذهب إلى أن رواية «...فطرهم على التوحيد»[١٢] بمعنى فطرهم للتوحيد، وبناء عليه قال

بأن الله خلَق عباده ليكونوا موحّدين ويبلغوا التوحيد، وهذا لا يعني أن مراد الله هو خلْق عباده بفطرة باطنية توحيدية، فلو كان كذلك لغدت جميع المخلوقات موحدّة وتعبد الله، وما نراه منها ليس موحّدًا، لهو دليل على أن البشر لم يُخلقوا على أساس التوحيد، بل لاكتسابه[١٣].

على منوال الشيخ المفيد نسج السيد المرتضى، فرأى المعرفة اكتسابية وأنكر المعرفة الاضطرارية، وعَدَّ النظر واجبًا بسبب خوف الضرر من تركه ورجاء دفع الضرر عند الإتيان به، وذهب إلى أن وجوب النظر في الفكر والمعرفة هو أول واجب، ويتبيّن عند التأمل في جميع الواجبات أنها متأخرة عن النظر والفكر[١٤].

وحاكى الشيخ الطوسي أساتذته أيضًا في أَنَّ معرفةَ الله اكتسابية، وهي نتاجُ التَّفَكُّرِ والاستدلال، وبيّن في نهاية الآيات المتعلّقة باحتجاج النبي إبراهيم عليه السلام على عبدة النجوم والشمس والقمر[١٥] أن تلك الآيات دليل على عدم ضرورية المعارف؛ لأنها لو كانت فطرية واضطرارية لما احتاج النبي إبراهيم عليه السلام لمناقشة عبدة الكواكب والاحتجاج عليهم، ولكفاه أن يخاطبهم: إنكم تعلمون بحدوث الكواكب، فلماذا تعبدونها؟ ولما احتاج إلى تقديم دليل لهم[١٦].

متكلمو مدينة الحلة ـ كالعلَّامة الحلي والفاضل المقداد ـ رأوا المعرفة اكتسابية أيضًا، وتحصيلها ضروري وواجب. فاعتقد العلَّامة الحلي أن السبب وراء ضرورة اكتساب المعرفة، هو أن الجهل بها يبعث على استحقاق الإنسان للعذاب الدائم[١٧]. كما اعتقد الفاضل المقداد أن لاكتساب الإنسان المعرفة سببين: أحدهما أنه يحول دون تكوّن الخوف في نفسه وينحّيه بعيدًا عنها، والآخر أنه لازم وواجب لشكر المنعم؛ لأن هذا لشكر لا يحصل دون معرفة[١٨].

تَعَرَّضَتْ وجهةُ نظر مُتكلِّمي بغداد والحلة إلى نقد المُحَدِّثين المُتَكَلِّمينَ للمدينة الأخيرة، فهذا السيد ابن طاوس يُعرّف في وصيته لولده أيسر السبل إلى معرفة الله، وهو التَّنَبُّهُ لِفطرتِهِ الداخلية، وذكر أنَّ العلماءَ المُتَقَدِّمِينَ عَقَّدُوا طريقَ معرفة الله على الناس، في حين لو التفت الإنسان إلى داخله سوف يجد أن جسمه وروحه وعقله وحياته لم يخلقها هو بنفسه ولا أحد من معارفه، وليس لأحد القدرة على خلق مثل هذه الأمور[١٩]. وهو من العلماء الذين قصروا رؤاهم في معرفة الله على الفطرة والطبيعة البشرية، وأعربوا عن تَعَجُّبِهِم من طريقِ الوصول إلى الله تعالى عن طريق الجوهر والصُّورةِ والعَرض والهيولا[٢٠].

حسن بن سليمان الحلي سلك مسلكًا يُضاهي به السيد ابن طاوس، فرأى المعرفة فطرية وكونها هبة من الله سبحانه، ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام رواية في نهاية آية ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[٢١]، حيث سأله فيها الراوي عن تلك الفطرة، فقال الإمام عليه السلام: «هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد» فبيَّنَ أنَّ الخلقةَ والطبيعةَ الابتدائية قائمة على أساس الإسلام والتوحيد، أن لخلقة العباد الأولية بنية توحيدية[٢٢].

كما نقل حديثًا آخر ورد فيه أن زرارة سأل الإمام محمدًا الباقر عليه السلام عن الحنيفية، فأجابه بأنها الفطرة والطبيعة التي خلق الله عباده عليها ولا سبيل لأي تبديل وتغيير فيها، وواصل حديثه في معنى الحنيف بأن البارئ قد خلق الناس على معرفته[٢٣].

فالإمام في جوابه لزرارة أشار إلى أن فطرة البشر وطبيعتهم مصدر لمعرفة الله، فهما ممزوجتان بتلك المعرفة، واستشهد الإمام بحديث جدّه فقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كلّ مولود يولد على الفطرة) يعني على المعرفة بأن الله عزّ

وجلّ خالقه، فذلك قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ﴾[٢٤]»[٢٥]، ففطرة كل إنسان يُخلق قائمة على أساس توحيد الله ومعرفته، وبعبارة أخرى: لكل من يولد في هذه الدنيا فطرة وخلقة توحيدية يعرف بها أن الله خالقه[٢٦].

ثم نقل روايات بيّن على أساسها أن الله حينما منح عباده معرفته وعرفوه بفطرتهم، أخذ منهم إقرارًا بذلك، وهم أيضًا اعترفوا بهذه المعرفة القلبية، ولم يتّخذ الله البشر شاهدًا على أنفسهم فحسب، بل أشهد الملائكة أيضًا على إقرارهم لكيلا يُنكر أحد هذه المعرفة يوم القيامة[٢٧].

يَتَّضِحُ ممَّا مَرَّ وجود اختلاف شاسع بين رؤية مُحدِّثي الإمامية ومتكلِّميهم؛ لأنَّ مُحَدِّثِيهم يعتقدونَ باضطرارية المعرفة وكونها فعل الله، ولم يروا الفكر والنظر سَببًا في إيجاد علم ويقين، وأما متكلّموهم في بغداد والحلة فاعتقدوا بوجوب النظر والفكر وكونه الطريق الوحيد للمعرفة؛ وبينما رَأَى مُحَدِّثُوهُم الفطرةَ مَصدرًا من مصادر المعرفة، أنكرها مُتكلموهم، وعَدَّوا الوَحي والعقل فقط مصدرين معرفيين[٢٨].

## عالم الذرّ

من القضايا الكلامية المهمة التي اختلف فيها علماء الإمامية هي عالم الذرّ والميثاق، فعلماؤهم في مدرسة الكوفة وقم الكلاميتين اعتقدوا بالمعرفة الفطرية، ولذا ذكروا عالم الذرّ بصفته مكانًا لإعطاء الله تلك المعرفة، ونُقلت روايات متعددة في المؤلّفات الروائية لمحدّثي قم عن العالم المذكور وموطن إعطاء المعرفة، فروى الصفّار القمي في «بصائر الدرجات» عدة أحاديث تذكر أن الله عرض في هذا العالم معرفته ومعرفة أوليائه

علــى الناس وأخذ منهم اقرارهم واعترافهم بذلك، وأخذ من الشــيعة ومحبّي الأئمة عليهم السلام ميثاقًا وعهدًا على ولايتهم، وهناك عرفوا شيعتهم[٢٩].

وروى الكلينــي في «الكافي» حديثًا عن الإمــام الباقر عليه السلام يوضّح طريقة خلقة الذريــة في عالم الذر، والامتحان والاختبــار الإلهي لهم[٣٠]، كما نقل عنــه عليه السلام حديثًا في آية ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[٣١] فقــال: «أخرج من ظهر آدم ذريتــه إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم نفســه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه»[٣٢]. كما أشــار في نفســه إلى أن الله أعطى معرفته ومعرفة نبيه صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام للناس وأخذ منهم إقرارًا وميثاقًا على ذلك[٣٣].

وجهةُ نَظر مُحَدِّثي قُم في آيات عالم الذرّ ورواياته لم تَلْقَ موافقة متكلمي مدرســة بغداد، فعلى الرغم من تسليم الشــيخ المفيد بخروج ذريَّة آدم إلَّا أَنَّهُ رَأَى القَبُــولَ بظاهر آيــة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[٣٤] هــو قــول العامة والحشــوية وأهل التناســخ، وأن إقــرار العباد واعترافهــم وشــهادة الذريــة يفتقر إلى التأويــل، فاعتبر الآية في «المســائل الســروية» من المجاز في اللغة، ومعناهــا «أن الله تبارك وتعالى أخذ من كل مكلّف يخرج من ظهر آدم وظهور ذريته العهدَ عليه بربوبيته من حيث أكمل عقله ودلّه بآثار الصنعة على حدوثه، وأن له محدِثًا أحدثه لا يُشــبهه يســتحقّ العبادة منه بنعمه عليه»[٣٥].

وأوّل أيضًا المقصود من إشهاد الخلق في قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بأن ظهور آثار الصنعة فيهم هو في الحقيقة إشهاد على أنفسهم. كما شرح المراد من قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[٣٦] بأنه عندما أكمل الله عقولهم وأظهر آثار صنعتــه وخلقته عليهم، وفهموا أنهم حادثون بأجمعهم وأوجدهم محدِثٌ لهم،

حينئذ سألهم ـ كما يبدو ـ ألست أنا بربكم؟ وكذلك حينما ظهرت آثار الله وآياته على عباده ولم يتمكّنوا من الامتناع والإنكار، هو في الحقيقة بمنزلة قولهم ﴿بَلَىٰ﴾[٣٧].

السيد المرتضى اعتقد أيضًا أن آية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٣٨] ليست لها دلالة على الإقرار والاعتراف بعالم الذرّ، بل ينبغي تأويل ظاهرها، فذهب إلى أن الله لما خلق الإنسان وأراه آياته ودلائله، يستدل كل ناظر متأمل فيها على معرفة الله وإلهيته ووحدانيته ووجوب عبادته وطاعته، وعبّر عنه مجازًا بالإقرار والاعتراف، وهذا كثير في لغة العرب[٣٩].

وهو لم يوافق على الأخذ بظاهر الآية، وأشكل عليه بأن من خوطب في عالم الذر فأقر قوم وأنكر آخرون، ينبغي أن يكون له عقل وكمال وتكليف؛ ليحسن خطابه، ويجوز له الإقرار والإنكار. ولو كان ذا عقل وكمال لوجب أن يذكر الإقرار والميثاق؛ «لأن من المحال أن ينسى جميع الخلق ذلك حتى لا يذكروا، ولا يذكره بعضهم»، فليس من الممكن عادة أن يعيش شخص في مكان مدّة، ثم ينسى ذلك المكان تمامًا ولا يتذكر منه أي شيء، أما نسيان أحداث الطفولة فسببه افتقاد الطفل لكمال العقل[٤٠].

الشيخ الطوسي في تفسيره للآية المذكورة، أنكر عالم الذرّ، وسجّل عدة تأويلات للآية، ولكنه قال في آخر المطاف بأن عالم الذرّ مخصوص ببعض الأشخاص لا جميعهم، حيث أكمل الله عقول بعض عباده، ولما عرفوه أقروا بتلك المعرفة. واستشهد بكلام السيد المرتضى بأنه لو كان جميع الناس حاضرين في ذلك العالم، وأخِذ منهم الإقرار والاعتراف، فلا ينبغي لهم

جميعًا أن ينسوا تلك الحقبة؛ وعدم تذكرها لبعد المسافة الزمنية الطويلة ما بين عالم الذرّ حتى اليوم، ليست سببًا مقنعًا من وجهة نظره، فكما تذكّر أصحاب الكهف أحداث ما قبل نومهم الطويل، أو سوف يتذكر الناس في الآخرةِ أَعمالَهم في الدنيا، فينبغي لهم إذًا أَنْ يَتَذَكَّرُوا أحداث عالم الذرِّ والإقرار والاعتراف فيه[٤١].

وعمومًا ينبغي القول بأن لأعلام متكلمي بغداد رؤيةً ناقدة ومنكرة لعالم الذرّ، فعدّوه عقيدة المؤمنين بالتناسخ، ورفضوا الروايات الواردة فيه فأزاحوها جانبًا إما لأنها أخبار آحاد، وإما لأنهم تعاملوا معها كآيات القرآن، فلم يجوّزوا الأخذ بظاهرها وشرحوها بتأويلاتهم الخاصّة.

حسن بن سليمان الحلي ذكر روايات متعددة عن عالم الذرّ وأحداثه في «مختصر بصائر الدرجات»، فروى حديثًا عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في كيفية خلق الذرّ في عالمه حيث قبض الله عزّ وجلّ «قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، فصبّ عليها الماء العذب الفرات وتركها أربعين صباحًا، ثم صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحًا، فلمّا اختمرت الطينة أخذها فعركها عركًا شديدًا، فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله، وأمرهم جميعًا أن يقعوا في النار، فدخل أصحاب اليمين، فصارت عليهم بردًا وسلامًا، وأبى أصحاب الشمال بأن يدخلوها»[٤٢].

وأشار إلى أحاديث تبيّن أن الله تعالى عرّف نفسه والنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لعباده في عالم الذرّ، ولما عرفوا الله وحججه أقرّوا واعترفوا بهم، فأخذ الله منهم الميثاق على تلك المعرفة[٤٣].

والحقيقة أن حسن بن سليمان عدّ الأخذ بظاهر الروايات لا شائبة فيه، وبإمضائه على صحّة عالم الذرّ وأحداثه، أوصد الباب بوجه تأويلات متكلمي بغداد لتلك النصوص، ولم يعترف بها.

## أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء

الموضوع المعنون من البحوث المهمة التي تعرَّضَتْ لنقاشِ عُلماءِ الإِمَامِيَّةِ واختلافِ آرائِهم، فنقل مُحَدِّثُوهُم روايات تفضيل الأئمة عليهم السلام وأَشارُوا إلى أَفضَلِيَّتهم على جميع الأنبياء، ومن جملة شواهد «الكافي» و«بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله» يمكن ذكر أحاديث تُبَيِّنُ أنَّ للأَئمَّةِ عليهم السلام عُلُومًا لم ينلها الأنبياء والملائكة، فنقل الكليني والصفار القمي حديثًا مشتركًا بينّ فيه أن لله علمين: علم أظهر عليه الأنبياء والرسل والملائكة، وللأئمة عليهم السلام علم به، وعلم استأثر به، فإذا بدا له فيه شيء أعلم الأئمة عليهم السلام بذلك(٤٤).

كما نقلا أحاديث تذكر إحاطة الأئمّة عليهم السلام بجميع علوم الأنبياء القدماء وحتى بكتبهم، فعلم كلّ الأنبياء حاضر لدى الأئمة عليهم السلام(٤٥). وتفصح تلك الشواهد عن إيمان الكلينيّ والصفار بأفضليَّةِ الأئمةِ على الأنبياء عليهم السلام.

لبعض علماء الإمامية في مدرسة بغداد الكلامية آراء مشابهة لمحدّثي قم، فالشيخ المفيد ممن يعتقد بأفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء، إذْ ذكر في كتابه «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» اختلاف علماء الشيعة في هذا البحث، ثم قال بأن أفضلية الأئمة عليهم السلام ليست قضية عقلية، ولايمكن الاستفادة من الدليل العقلي في إثبات أو نفي أي رأي من تلك الآراء، ولا يوجد بين علماء الشيعة إجماع على أَيّ رأْيء منها، ولكن ثمة روايات تؤيّد القول بأفضلية الأئمة عليهم السلام(٤٦).

ومع هذا لم يقدّم الشيخ المفيد رأيًا صريحًا وواضحًا في الموضوع، بيد أن مارتين مكدرموت استنتج من عبارت المفيد في «أوائل المقالات» أنه منحاز باحتياط إلى أفضلية الأئمة على كلّ الأنبياء عليهم السلام ماعدا خاتمهم صلى الله عليه وآله(٤٧).

أما الشيخ المفيد نفسه فقد ألّف كتاب «تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام»

الــذي أثبت فيه أفضلية الإمــام علي عليه السلام على جميع الأنبيــاء عليهم السلام غير خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، إذ شــرع في ذكر مختلــف الآراء في بحث الأفضلية، ثم أثبت أن أميــر المؤمنين عليه السلام هــو أفضل من الخلــق حتى جميع الأنبياء عليهم السلام ســوى النبي محمد صلى الله عليه وآله بالاســتناد إلــى بعض الآيات والأحاديث، مثل: آية المباهلة، وحديــث الطير، ومنزلة الإمام علي عليه السلام يوم القيامة، وجهاده، وطائفة أخرى من أحاديث الشــيعة وأهل السـنّة(٤٨).

وشــرح أحد الأدلــة على كون الإمام علي عليه السلام هو أفضــل من جميع الناس بأن رســول الله صلى الله عليه وآله جعل حبَّ عليّ عليه السلام كحُبِّهِ وعداوة عليّ وبغضه كعداوته وبغضه(٤٩). وتأليف الشــيخ المفيد لهذا الكتاب يصرّح بجلاء بأنه من القائلين بأفضلية الأئمة عليهم السلام على جميع الأنبياء.

الشــيخُ الطُّوســيُّ في هذا البحث لم يُعــربْ عن رأيٍ صريحٍ فــي أفضليَّةِ الأَئِمَّةِ عليهم السلام والأنبياءِ، وقالَ بالتَّوَقُّفِ فيه، فَحينما سُــئل عن أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياءِ أُولي العزم عليهم السلام ذكر أن هذه القضيةَ ليســتْ عقلية، والأحاديث فيها مختلفة، والأجدر أنْ نَتَوَقَّفَ فيها(٥٠).

كما اســتنتج حسن بن سليمان الحليُّ تَوَقُّفَ الشيخ المفيد في هذا البحث من كلامه في «أوائل المقالات»، فتعرَّضَ في كتابه «تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة» إلى نقد كلام المفيدِ والطُّوسيّ، وقدَّمَ معايير مُتعددة من الروايــات لإثبــات أفضليتهم على جميع الأنبياء حتى أولــي العزم ـ غير النبي محمد صلى الله عليه وآله ـ سنشير إليها لاحقًا.

وعلــم الأئمة عليهم السلام هو أحد الشــواهد التي ذكرها لإثبــات أفضليتهم على الأنبيــاء، فنقل عدّة أحاديث في الآفاق الواســعة لعلم الإمــام ووراثة أوصياء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لعلومه، واســتند إلى قولــه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ﴾[٥١] في إثبات أن للأئمة المعصومين عليهم السلام علمًا أعلى من الأنبياء عليهم السلام، ومن ثمّ لهم مقام أعلى منهم.

ونقل حديثًا عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: «إن الله سبحانه وتعالى جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفًا، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفًا، وأعطى نوحًا منها خمسة عشر حرفًا، وأعطى إبراهيم منها ثمانية أحرف، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين فكان يحيي بها الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، وأعطى محمدًا صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفًا»[٥٢].

فأشير في هذا الحديث إلى أن علم خاتم النبيين صلى الله عليه وآله أعلى درجة من جميع الأنبياء حتى أولي العزم منهم عليهم السلام. ووضح حسن بن سليمان الحلي في نهاية الحديث أن علم النبي صلى الله عليه وآله نُقل كاملًا إلى وصيّه الإمام علي عليه السلام ومن بعده إلى الإمام حسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام ثم إلى جميع الأوصياء حتى الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذا الانتقال الكامل لعلم النبي صلى الله عليه وآله إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام يُثبت أنهم أعلى علمًا من جميع الأنبياء[٥٣].

وروى ابن سليمان الحلي أَيضًا حديثًا عن أبي بصير أنه قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن داود ورث علم الأنبياء، وإن سليمان ورث داود، وإن محمدًا صلى الله عليه وآله ورث سليمان، وإنَّا ورثنا محمدًا صلى الله عليه وآله، وإنَّا عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى. فقال أبو بصير: إن هذا لهو العلم. فقال: يا أبا محمد، ليس هذا هو العلم، إنَّما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يومًا بيوم وساعةً بساعة»، فعلّق عليه الحلّي بأن الأئمة عليهم السلام وارثو علم جميع الأنبياء عليهم السلام بل علمهم أكثر، والحقيقة أن علم الأنبياء قسم قليل من العلم الأصليّ للأئمَّة عليهم السلام، ولذا تعجَّبَ أبو بصير من هذا القول؛ لأن العلم الأصلي للأئمة عليهم السلام يفيض عليهم ساعة بساعة ولحظة بلحظة[٥٤].

ملاك آخر ذكره حسن بن سليمان الحلي في كتابه «تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة» في إثبات أفضليتهم هو أن خلقة أهل البيت عليهم السلام سبقت خلقة جميع الخلق حتى رسل الله، فنقل حديثًا عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال فيه: «إن الله تعالى خلق محمدًا وعليًّا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحًا في ضياء نوره يعبدونه قبلَ خَلْقِ الخلق، يسبحون الله ويقدسونه وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله». ثُمَّ استشهد الحلي بآية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[٥٥] على أن الأئمة عليهم السلام هم «السابقون إلى كل مكرمة، والفائزون بكل فضيلة»، وأن الله عز وجل جعلهم السابقين على جميع خلقه، ولم يسمح لأحد أن يسبقهم في الخلق والوجود، فهم السابقون لجميع الخلق[٥٦].

كما روى حديثًا عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرًا نورًا مبينًا لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبًا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة أسفل من تلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم نَصيبًا إلَّا الأنبياء والمرسلين»، فاستند حسن بن سليمان إلى هذا الحديث ليقول بأن أرواح الشيعة وأرواح الأنبياء والرسل خُلقت مما خُلق منه أجساد الأئمة عليهم السلام؛ ولذا عدّه أحد ملاكات أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والرسل، وعدّ الأخيرين من شيعة آل محمد عليهم السلام[٥٧].

فضلًا عن الخلقة النورانية لأهل البيت عليهم السلام جعل خلقة أرواحهم دليلًا أيضًا على أفضلية الأئمة عليهم السلام على جميع الأنبياء عدا رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستند إلى الحديث الآتي للإمامِ الصَّادِقِ عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل

الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين»[٥٨].

ملاك آخر أورده حسن بن سليمان في أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة، هو أن الأئمة عليهم السلام تولوا تعليم الملائكة والأنبياء، فالله سبحانه وتعالَى خلق الأئمة أَوَّلًا ثم الأنبياء والملائكة، فأرشدهم الأئمة عليهم السلام إلى عبادة الله وعلموهم كيفيتها، حيث نقل روايةً عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فيها: «إن الله تعالى خلقني وخلق عليًّا قبلَ أنْ يخلقَ آدم بهذه المدة نورًا قسمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلقَ عليًّا من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور علي. ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة، فسبحنا وسبحت الملائكة، وهللنا فهللت الملائكة، وكبرنا فكبرت الملائكة، وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي»[٥٩].

كما استند حسن بن سليمان الحلي إلى قولِ النَّبيّ صلى الله عليه وآله: «كلّ شيء سبّح اللّهَ وهلّله وكبّره بتعليمي وتعليم علي» في دلالته على العموم لسائر الخلق؛ ولذا يشمل الأنبياء وغيرهم، فكل شيء يجري على لسانه ذكر الله إنما هو بتعليم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، وورث الأئمة عليهم السلام هذا الفضل أيضًا استنادًا إلى حديث يذكر أنَّ كلَّ ما كان لمحمد صلى الله عليه وآله من الفضل فلأوصيائِهِ مثله إلَّا النُّبوة والأَزواج[٦٠].

وروى الحديث الآتي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله اختارنا معاشر آل محمد واختار الملائكة المقربين، وما اختارهم إلا لعلمه أنهم بنا يهتدون» واستدل به على أن الأنبياء والملائكة اهتدوا بأهل البيت عليهم السلام وتعلَّموا بعلمهم، واقتبسوا من نورهم، وأنهم شيعة وأتباع لأهل البيت عليهم السلام[٦١].

من المؤشِّرات المهمة لأفضلية الأئمة عليهم السلام وتفوّقهم على أنبياء الله ورسله،

هو تَوَسُّل الأنبياء بالأئمة المعصومين عليهم السلام إلى الله حينما تحلُّ بهم المصاعب والمشاكل، ففي ذروة تَعَرُّض الأنبياء للمصائب والاختبارات الإلهية يتوسلون بالأئمة عليهم السلام لاجتيازها، فيرفع الله عنهم البلاء لاستغاثتهم وتوسلهم بهم.

في هذا الإطار أشار حسن بن سليمان الحلي إلى هبوط آدم من الجنة وبكائه طلبًا للتوبة من الله تعالى في حديث وضّح: «أن آدم لمّا نزل إلى الدنيا بكى حتّى صار في خدّيه نهران ثجّاجان، فنزل عليه جبرئيل وقال: يا آدم، أتحبّ أن يتوب الله عليك؟ قال: نعم. قال: فقل: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ الأكرمين عليك محمّد وعليّ وفاطمة وحسن والحسين والأئمة لما تبت علينا. فتاب الله عليهما»[٦٢].

والنبي نوح عندما نزل العذاب الإلهي وهو في السفينة توسّل إلى الله بمحمد صلى الله عليه وآله الطاهرين عليهم السلام فأنجاه ومن معه من الغرق؛ والنبي إبراهيم لما قذف به النمرود توسّل بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام فجعل الله النار عليه بردًا وسلامًا[٦٣].

فَتَوَسُّلُ الأنبياء إلى الله تعالى بالأئمة المعصومين عليهم السلام دليلٌ على المنزلة العظيمة لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن المنكوبين والمتورّطين يَتَوَسَّلونَ دَائِمًا بالوجهاء عند الله؛ ليزيل بهم النكبةَ والبلاءَ عنهم. وذكر حسن بن سليمان أنه لو عرف الأنبياء أشخاصًا أعلى منزلة وأقرب إلى الله من الأئمّة عليهم السلام لتوسّلوا بهم حتمًا وجعلوهم واسطة بينهم وبين الله تعالى[٦٤].

ثم أورد ابن سليمان الحلي الحديث القدسي: «إن الله عزّ وجلّ يقول: يا عبادي، أَوَ لَيسَ من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إِلَّا أنْ يتحمَّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم تقضونها كرامة لشفيعهم؟ ألا فاعلموا أن أكرم الخلق عليّ وأفضلهم لديّ محمد وأخوه عليّ ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إلى الله،

فليدعني من همته حاجة يريد نفعها أو دهمته داهية يريد كشف ضرها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين أقضها له أحسن ما يقضيها من تستشفعون بأعزّ الخلق إليه»[٦٥].

ولإثبات أفضلية وتفوّق الأئمة المعصومين عليهم السلام على جميع الأنبياء استشهد حسن بن سليمان الحليُّ بأحاديث ذكرت الإمام عليًّا عليه السلام أنه خير البشر، وسيد الخلائق، وسيِّد المُؤمنين، والحجة على أهل الدنيا، وغيرها، فمثلًا شرح حديث «علي سيد المؤمنين» أن الألف واللام للجنس وتشمل جميع المخلوقات بمن فيهم الملائكة والأنبياء وبخاصة أولو العزم منهم، وقال بأن هذه العبارة تستوعب جميع المؤمنين في جميع الأممِ والأَزمنةِ، ولا يُمكنُ تخصيصها من دون دليل، ولذا ينبغي التذكّر أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من جميع الخلق ـ ما عدا الرسول صلى الله عليه وآله ـ وله المقام الأعلى، وليس لأي أحد في أي زمان وأمَّة فضيلة أعلى منه[٦٦].

وفي توضيح حديث «إن عليًّا الحجة على أهل الدنيا» ذهب إلى أنه يكتنف جميع الخلق من بداية الدنيا إلى نهايتها، والإمام علي حجَّة على جميع من سكن الأرض، وجميع الأمم مأمورة بالتسليم لمقام نبوّة النبي صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمة عليهم السلام والاعتراف بهما، وليس لهم الإذن في تركهما، وهذا يشمل الأنبياء والرسل أيضًا. وبعبارة أخرى: إن أنبياء الله ورسله مأمورون بالاعتراف والإقرار بمقام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام[٦٧].

كما وضّح رواية «يا علي أنت خير البشر لايشك فيه إلا كافر» بأنها صريحة بأن من يشكّ بأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على الأنبياء أولي العزم عليهم السلام فقد كفر، وينبغي بطبيعة الحال إخراج الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من عموم هذا الحديث؛ لأنه أصل وأمير المؤمنين عليه السلام فرعه، وعلم علي عليه السلام وفضله من علم

الرسول وفضله، فبقي جميع الخلق داخلاً في عموم هذه الرواية، ولا يجب الشك في أفضلية الإمام علي عليه السلام وتفوّقه على جميع المخلوقات[٦٨].

وفي إثبات أفضلية الأئمة المعصومين على الأنبياء أولي العزم عليهم السلام أشار حسن بن سليمان إلى اقتداء عيسى بالإمام المهدي عليهما السلام والصلاة خلفه عند ظهوره، فذهب إلى أنَّ الصَّلاةَ خَلفَ الإمام المهديّ عليه السلام دليل أفضليته على النبيِّ عيسى عليه السلام؛ لأن الإمام أكثر فضلًا وتَفَوُّقًا من المأموم[٦٩].

ابن سليمان الحلي تعجّب ممن يعتقد بأفضلية الأنبياء أولي العزم على الأئمة المعصومين عليهم السلام في حين أن جميع الأمة الإسلامية تعتقد بنزول عيسى عليه السلام من السماء وصلاته خلف الإمام المهدي عليه السلام واقتدائه به بعد ظهوره. ونبّه بحديث: «فضلنا واحد وعلمنا واحد، نحن شيء واحد» على أن النبي عيسى عليه السلام أحد أنبياء أولي العزم عليهم السلام، فيثبت بناء عليه أن النبي المهدي عليه السلام أعلى مقامًا من جميع الأنبياء أولي العزم عليهم السلام، وحينما ثبتت هذه الفضيلة للإمام المهدي عليه السلام تثبت أيضًا للأئمة الآخرين عليهم السلام أيضًا، فيتعيّن بهذا وعلى وفق الحديث المذكور أن الأئمة المعصومين عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء أولي العزم عليهم السلام ماعدا النبي محمدًا صلى الله عليه وآله[٧٠].

وصرّح أيضًا بأن النبيَّ عيسى عليه السلام تابعٌ للإمام المهدي ومن شيعته ورعاياه؛ لأن نبوة النبي عيسى عليه السلام نُسخت برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، فالمسيح يتبع في أموره أمر الإمام المهدي ونهيه، ويُحسب في عداد الأمة الإسلامية، ويخضع لأمر الإمام المهدي عليه السلام، وبهذا تثبت أفضليته على النبي عيسى عليه السلام[٧١].

أشرنا سابقًا إلى أن حسن بن سليمان الحلي استنتج من كلام الشيخ المفيد في كتابه «أوائل المقالات» أنه متوقِّفٌ في هذا البحث، ولم يُصرِّح بأفضليَّةِ الأَئمَّةِ عليهم السلام؛ ولذا تعرَّضَ في تأليف كتابه «تفضيل الأئمة عليهم السلام على

الأنبيـــاء والملائكة» إلى بيان مـــلاكات أفضليتهم على أنبياء اللّه، وإثباتها، ولكـــن يبدو أنه لم يتمكّن من الحصول على جميع مؤلّفات الشـــيخ المفيد، فلـــو اطلع على كتابه «تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام» لم يعتقد بأن الشـــيخ المفيد قال بالتوقّف في هذا الموضوع؛ لأنه صرّح في كتابه المذكور بأفضلية الإمام علي عليه السلام على الأنبياء استنادًا إلى شواهد قوية من الآيات القرآنية والروايات.

## علم الأئمة عليهم السلام

اعتقـــد علماء الإمامية في مدرســـة قـــم الحديثية بالمديات الشاســـعة لعلم الأئمة عليهم السلام، فبيّنت الكتب الحديثية المؤلّفة في المدرســـة المشـــار إليها – مثل «الكافـــي» و«بصائر الدرجات» – أنَّ نطاقَ علـــم الأئمة عليهم السلام أكبر للغاية من العلم بالشريعة ومسائل الحلال والحرام للدين.

فأشـــارَ «الكافـــي» إلـــى أنَّ الأئمـــة عليهم السلام وارثو جميـــع الأنبيـــاء وبخاصة خاتمهم صلى الله عليه وآله، وخبراء في الشـــريعة وتفسير الآيات وتأويلها، فضلًا عن جوانب أخرى من ســـعة علمهم، فخصص بابًا بعلم الأئمة عليهم السلام بالكتب الإلهية لجميع الأنبياء، وحتى علمهم باختلاف اللغة أيضًا في هذه الكتب، فذكر في هذا البـــاب روايات تنـــصّ على حديث الأئمة عليهم السلام بلغة غير اللغـــة العربية، وعلمهم بكتب الأنبياء غير العرب[٧٢].

كما نقل حديثًا عن الإمام الحســـن عليه السلام أشـــار فيه إلـــى وجود مدينتين في المغرب والمشرق فيهما سبعون ألف ألف لغة، له علم بجميعها[٧٣].

الصفـــار القمي في «بصائر الدرجات» خصص بابين في كتابه بعلم الأئمة بجميع اللغات، وذكر في ذينك البابين اثنتين وعشرين رواية تبيّن أن للأئمة عليهم السلام معرفة تامّة بلغات متعددة ومختلفة وتحدّثوا بها ومنها الفارسية[٧٤].

ينبغي الالتفات إلى علم الأئمة بجميع اللغات يُثبت سعة علمهم وكذلك ضروريته؛ لأنهم علماء وحجة على جميع البشر في العالم، وأئمَّة وهداة لجميع مخلوقات الله، فينبغي أن يتمكّنوا من الحديث مع جميع الناس والإجابة عن أسئلتهم، ونقل معارف الدين لهم.

فضلاً عن نقل الكليني والصفار القميّ في كتابيهما روايات في علم الأئمة بلغات البشر، رويا كذلك أحاديث في علمهم بلغات الطيور والحيوانات والجنّ حيث تحدثوا معهم في مرّات عديدة، فخصص الصفار القميّ في كتابه «بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام» ثلاثة أبواب في هذا الموضوع، احتوت جميعها على ثلاث وأربعين رواية تُثبت أن الأئمة عالمون بلغات جميع مخلوقات الله وتكلموا بها[٧٥].

أما الكليني فلم يخصص بابًا مستقلًّا بهذا الموضوع، ولكنه نقل ثماني روايات منها أثبت فيها أنه موافق للصفار القمي في وجهة نظره[٧٦].

الكتابان المذكوران أفصحا عن أبعاد أخرى لعلم الأئمة زيادةً على علمهم باللغات واللهجات، أهمها روايات متعددة تصف علمهم بموتهم، وبالإمام الوصي من بعد كل منهم، وعرض أعمال العباد عليهم، وعلمهم بأعمال الخلق، ومصير الأشخاص إلى الجنة أو النار، وأهمها علمهم باسم الله الأعظم (الاثنين والسبعين حرفًا من الثلاثة والسبعين). ورواية مشايخ قم لهذه الأحاديث تُبدي عن اعتقادهم بأن علم الأئمة عليهم السلام لا ينحصر في أمور الشريعة وحلالها وحرامها، بل متعلّق علمهم واسع ومترامي الأطراف للغاية.

متكلمو الإمامية بمدرسة بغداد اختلفوا في سعة علم الإمام، فقال النوبختيون بالوجوب العقلي لعلم الإمام باللغات والصنعات ومختلف الفنون، وذهب في مقابلهم الشيخ المفيد إلى أن علم الأئمة عليهم السلام بالصناعات واللغات

والفنــون ليس واجبًا ولا ممتنعًــا عقلًا، ولهذا ذكر فــي «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» أنه لو وجدت روايات صحيحة في هذا المجال فسوف نقبل بها عن طريق النقل، ولكنه شككّ في صحة هذه الروايات ولم يقبلها[٧٧].

كمــا اعتقد المفيد بــأن علم الإمام بضمير الأشــخاص وباطنهم والوجود وعوالمه ليس بواجب عقلًا ولا هو من شــروط الإمامة، ولكن وجود الروايات فــي هذا المجال جعله يعتقــد بوجوبه نقلًا. وذكر أن إطلاق «علم الغيب» على هــذا النوع من علم الإمام ليس صحيحًــا؛ لأن عنوان علم الغيب يُطلق على من له علم ذاتي ونفسي وليس مأخوذًا من الآخرين، والعلم النفسي مختصّ بالله، والنتيجة أن علم الغيب لا يكون إلا لله فقط[٧٨].

الســيد المرتضى في «رســائله» لم يــرَ وجوبًا لعلم النبــي ﷺ والأئمة عليهم السلام بالصناعات والمهن مثل: الصباغة والحياكة، واعتقد أن على الرسول والإمام أنْ يكونا عالمين بصفات الله تعالى وأحواله، وما يجوز عليه وما لايجوز، زيادة علــى ذلك ينبغي عليهما العلم بالأديان الأخرى والمســائل الشــرعية والدينية، وليس من الضروري علمهما بأنواع وأقسام الفنون والحِرَف والكتابة[٧٩].

تَبَنَّى حسن بن سليمان الحلي وجهةَ نَظَرِ مُحَدِّثي قُم في موضوع علم الإمام، ووقــف في مقابل متكلّمي بغداد، فذكر في كتبه أحاديث متعددة عن علم الأئمة عليهم السلام توضّح أنه لا ينحصر في أحكام الدين ومسائل الشريعة، بل يستوعب مــداه أمورًا غير دينية أيضًا، وأن الأئمّة على علم بزمن شــهادتهم وكيفيتها، فروى حديثًا عن الإمام علي عليه السلام يُخبر فيه الحسن والحسين عليهما السلام بشهادته على يد ابن ملجم[٨٠]، كما نقل روايتين عن الإمامين: السجّاد والباقر عليهما السلام أخبرا فيهما أبناءهما عن زمن موتهما[٨١]، ورواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أشار فيها إلى قاعدة كلية وهي أن كل إمام لا يعرف ماذا ســيجري عليه وكيف ســتكون نهايته، فهو ليس حجة الله[٨٢].

كما ذكر روايات في إثبات شمولية علم الإمام وعدم اقتصاره على الأمور الدينية، بيّنت أن للأئمة عليهم السلام علمًا كاملًا بالحوادث الماضية والمستقبلية، ومنها حديث يُعرب عن علم الإمام علي عليه السلام بأي حادثة في أي زمان، حيث أخبره النبي صلى الله عليه وآله بها عن جبرئيل الذي أنبأه بعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، حتى بالمصائب والمصاعب التي سيتعرّض لها الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وكذلك سائر الأئمة[٨٣].

ووصف في حديث رواه علمَ أهل البيت عليهم السلام بأنهم يُخبرون بما يقع في كل ساعة من الليل والنهار[٨٤].

بُعدآخر عرضه حسن بن سليمان الحلي في سعة علم الإمام هو علم الأئمة عليهم السلام بلغة الحيوانات والطيور والتحدّث معهم، فمثلًا أشار إلى حديث ذكر أن الإمام الرضا عليه السلام نظر إلى السماء هنيهة وتكلّم مع الطيور[٨٥]، كما نقل حديثًا عن الإمام السجّاد عليه السلام أظهر أنه فهم كلام نعجة وولدها وأخبر به راوي الحديث عبد العزيز[٨٦].

زيادة إلى حديث آخر عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أخبر فيه علي بن أبي حمزة عن كلام حمامتين ذكر وأنثى، وإظهار حبهما للإمام، فسأل علي بن حمزة الإمام الكاظم عليه السلام هل أنتم تفهمون كلام الطيور؟ فَأَجابَهُ الإمامُ بأنَّهم أُعطُوا علم الكلام مع الطيور وعلم كل شيء[٨٧].

وزيادة على ما ورد فعلم الأئمة عليهم السلام بأعمال العباد وأفعالهم شاهد قوي آخر على سعة علمهم، وفي هذا الإطار نقل حسن بن سليمان الحلي في كتابه «المحتضر» أحاديث ورد فيها أن الله سبحانه خلق عمودًا من نور يَتَمَكَّنُ الإمامُ بهِ مِن رُؤيَةِ أَعمالِ العِبَاد، «فإذا أرادَ علمَ شَيْءٍ نَظَرَ بذلك العمود النورَ فَعرفه»[٨٨].

وأشار في الكتاب نفسه إلى علم الأئمة عليهم السلام بشيعتهم وأصدقائهم وأعدائهم، فنقل حديثًا عن رجل دخل على الإمام السجّاد عليه السلام فرآى بين يديه أوراقًا ينظر فيها، فسأله عنها، فقال: «هذا ديوان شيعتنا». فاستأذنه الشخص ووجد اسمه واسم ابن أخيه فيه، فقال الإمام عليه السلام: «أخذ الله ميثاقكم فلا تزيدون ولا تنقصون»[٨٩].

وروى حديثًا آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ليس مخلوق إلا بين عينيه مكتوب (مؤمن) أو (كافر)، وذلك محجوب عنكم وليس بمحجوب عن الأئمة من آل محمد عليهم السلام، ولم يكن يدخل عليهم أحد إلا عرفوه مؤمنًا أو كافرًا. ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٩٠] فهم المتوسّمون»[٩١].

فالشواهد التي ذكرها حسن بن سليمان الحلي تعكس اعتقاده بسعة علم الإمام وعدم اقتصاره على مسائل الدين وأحكام الشريعة.

## الإرادة الإلهية

لا خلاف بين المحدّثين والمتكلّمين الإمامية حتى مدرسة الحلة في أن الإرادة من صفات فعل الله سبحانه، لكن الاختلاف الماثل للعيان بينهم في طبيعة الإرادة وماهيتها، وأهم اختلاف فيها هو: هل الإرادة إحدى مقدمات الفعل الإلهي، أم ليست هي إلا الفعل الإلهي نفسه؟

نقل الكليني في «الكافي» روايات توضِّح أنَّ لأفعال الله سبحانه مراحل ومقدِّمات، والإرادة إحدى مقدِّمات فعل الباري سبحانه، منها حديث عن الإمام الكاظم عليه السلام قال فيه: «لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلَّا بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله، أو رَدَّ على الله عزّ وجلّ»[٩٢].

ونقل الشـيخ الصدوق في «التَّوحيد» حديثًا يُشير إلى أن مراتب أفعال اللّه ومراحلها يُشكِّلُهَا العلمُ والمشيئةُ والقضاءُ والقدرُ[٩٣].

هذه الرؤية تعرّضت إلى تطوّر في المعنى لدى الإمامية، فرفض المتكلمّون العقلانيـون في بغداد فكر المحدّثـين الإماميين في هذا الموضوع، واعتقدوا – على العكس منهم – بأنَّ إرادةَ اللّه سـبحانه هي عَينُ فِعلِهِ، فَذَهَبَ الشيخُ المُفيـدُ – وهـو من كبار علماء الكلام في مدرسـة بغـداد – إلى «أن إرادة اللّه تعالى لأفعاله هي نفس أفعالـه، وإرادته لأفعال خلقه أمره بالأفعال»[٩٤]. واسـتنتاجنا من هذا القـول أن المفيد لا يعتقد قبـل الإرادة وبعدها بمقدمات أخرى لفعل اللّه، فإرادته سبحانه هي وقوع فعله.

وقف حسـن بن سـليمان الحلي مع مُحَدِّثي الإماميَّةِ فـي مقابل مُتَكَلِّمي بَغـدَادَ، فنقـلَ روايات فـي بـاب الإرادة الإلهية ذكّرت بمقدمـات ومراحل الفعل الإلهي، فـأدرج في كتابه «مُختصر بصائر الدرجات» رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام حيث سـئل فيها عن كيفية علم اللّه تعالَى، فقال: «علم وشاء، وأراد وقـدر، وقضى وأبـدى، فأمضى ما قضى، وقضى مـا قدر، وقدر ما أراد... فالعلم متقدم على المشـية، والمشية ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالامضاء»[٩٥].

فأشار الإمام في الرواية المذكورة إلى مراحل فعل اللّه سبحانه ومقدّماته، ووضّح المقدّمات الحاصلة قبل وقوع الفعل الإلهي من أجل أن يتحقق، فذكر العلم والمشـيئة والإرادة والقضاء والقدر كمقدّمات لتحقق الأفعال، وعندما تُنجز هذه المرحل واحدة بعد أخرى وتصل مرحلة الإمضاء، حينئذٍ يتحقق فعل اللّه؛ فالمقدمـة الأولى هي العلم، والثانية المشـيئة، والثالثة الإرادة. وأما البداء «فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شـاء وفيما أراد تقدير الأشـياء» ولم

يصـــل إلى مرحلة النهائية وهي الإمضاء، فإذا وصلها فلا بداء في ذلك الفعل. ووقوع البداء في أفعـــال اللّه تعالى أمارة على أن لأفعاله مراحل ومقدمات إذا لم تكتمل لن يتحقق الفعل[٩٦].

الاختلاف الآخـــر بين محدّثي الإماميـــة ومتكلّميهم فـــي موضوع الإرادة الإلهية يتعلّق بســـعتها ونطاقها، فاعتقدَ مُحَدِّثُو مَدرسَـــةِ قُـــم أنَّ جميعَ الأُمُورِ واقعة تحت الإرادة الإلهية، ولا يخرجُ أيُّ فعلٍ عنها. فروى الكلينيُّ في كتابه «الكافي» أحاديث تصوّر أن إرادة اللّه تعالى تشمل جميع الأمور حتَّى المعاصي والقبائح[٩٧]، وكذلك الشـــيخ الصدوق في «الاعتقـــادات» رأى الإرادة الإلهية شـــاملة لجميـــع أفعال العباد حتى مـــا لا يحبّه اللّه ولا يرضى به اســـتنادًا إلى حديث للإمام الصادق عليه السلام[٩٨].

الشـــيخ المفيد في كتاب «تصحيح الاعتقادات» عدَّ رأي الشـــيخ الصدوق نتيجـــةَ أَخذِهِ بِظَاهِرِ الروايات واتِّباعه أصحاب الحديث، ووصفه بأنه ممن لا يقولـــون بالنظر والفكر في الروايات ولا يُمَيِّزونَ بـــيَن حَقِّهَا وبَاطِلها، فَضَيَّقَ المفيدُ من نطاق الإرادة الإلهية قياسًـــا بالشـــيخ الصدوق، واعتقدَ أنَّها تشـــمل الطاعات والمحاســـن فقط، ولا تتعلق بالمعاصي والشر والقبائح والفواحش[٩٩]. واســـتندَ إلـــى آيات من القرآن الكريم لتفســـير أنَّ اللّه عزَّ وجـــلَّ أَرادَ بِعبَادِهِ اليُسْـــرَ[١٠٠] والتَّخفيفَ[١٠١] والبيـــانَ[١٠٢]، فلو تعلّقت المعاصـــي بالإرادة الإلهية فسوف تَتَعَارَضُ مع التخفيف والتيسير والبيان المذكورة في الآيات[١٠٣].

بيد أن لحســـن بن ســـليمان الحلي رأيًا يعارض به الشـــيخ المفيد في حدود ونطـــاق الإرادة الإلهية، ويماثل الشـــيخ الصدوق في اعتقاده بمداها الواســـع وشـــمولها لموارد الشـــر والمعاصي اســـتنادًا إلى ما نقله من روايات في كتاب «مختصر بصائـــر الدرجات»، وتوضيحاته في نهايـــة بعض الأحاديث، فروى

حديثًا عن طريق الشيخ الصدوق عن رسول الله ﷺ يقول فيها: «من زعم أن الله تبارك وتعالى يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشرّ بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار»[١٠٤].

يتَّضحُ على وفق هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالسوء والفحشاء، وفي الوقت نفسه لا يخرج الشَّرّ والمعاصي عن دائرة مشيئته، فالخيرُ والشرُّ وُضِعَا جَنبًا إلى جنب، والظنُّ بأنَّهما خارج مشيئة الله سبحانه يُفضي إلى إخراج الله من سلطانه وملكوته[١٠٥].

القصد من الإرادة الإلهية حيال المعاصي والذنوب شرحه حسن بن سليمان الحلي في نهاية الحديث، وأشار إلى روايتين أخريين في الموضوع، فذهب إلى أن مشيئة الله قد تكون مشيئة حتم ومشيئة غير حتم، وإرادته سبحانه وتعالى فيما يرتبط بالمعاصي من النوع الثاني، فمشيئته أن يخلّي بين العباد وبين أفعالهم، ولا يوجِد ما يحول دون ارتكابهم للمعاصي والذنوب[١٠٦].

وفي توضيحه للمشيئة غير الحتم استند الحلي إلى حديث للإمام الرضا عليه السلام[١٠٧] وأشار إلى قصة آدم وحواء فذكر أن الله تعالى نهاهما عن الأكل من تلك الشجرة وشاء أن يخلي بينهما وبين الأكل منها، فحدث ذلك الأمر. وكذلك أمر الله سبحانَهُ النَّبيَّ إبراهيمَ عليه السلام بِذَبْحِ ابنه في حين أن مشيئته أن لا يُذبح إسماعيل عليه السلام؛ فإذا لم يشأ الله الأكل من الشجرة المحظورة وعدم ذبح إسماعيل عليه السلام فسوف تتقدم على مَشيئتهِ مشيئة آدم وحواء والنبيّ إبراهيم عليهما السلام؛ لأنهم كانوا ينجزون عملًا لم ينل إرادة ومشيئة الله تعالى.

هذا الموضوع حُسم جيِّدًا لدى مُحَدِّثي الإمامية في ضوء روايات أهل

البيت عليهم السلام إذ قد تتعارض أحيانًا إرادته التكوينية مع التَّشريعية، وبهذا الملاك المذكور في الروايات أحسنوا تحليل موضوع تعلق إرادة الله ومشيئته بالشَّرِّ والمَعاصي، وأزالوا مشكلة تعلُّقها بالقبائح والذنوب، بيد أن هذه الرؤية لم تنل تأييد متكلّمي الإمامية في بغداد، فأنكروا تعارض وتغاير الإرادة التكوينية والتشريعية لله تعالى، واعتقدوا بتعلّق إرادته بالأمور الحسنة والطاعات[١٠٨].

## التفويض

لم تؤمن الإمامية بالجبر والتفويض المطلقين على العكس من الأشاعرة والمعتزلة الذين أبطل الأئمة عليهم السلام رؤيتهم في الموضوع بطرحهم للمنزلة الوسطى بين الجبر والتقويض، ففي الجواب عن سؤال في الجبر والقدر قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحقّ التي بينهما، لا يعلمها إلا العالم، أو من علّمها إيّاه العالم»[١٠٩] فالإمام لم يؤيّد مُطلقًا أنه لا جبر ولا تفويض، ولكنه ذكر أن ما بينهما منزلة يكمنُ فيها الحقُّ والحقيقةُ.

محدّثو مدرسة قم نقلوا في كتبهم روايات أيضًا أعربت عن أقوال الأئمة عليهم السلام في نفي الجبر والتفويض في مجال الأمور التكوينية، فروَى الكلينيُّ في «الكافي» أن حسن بن علي الوشاء سأل الإمام الرضا عليه السلام فقال: «الله فوض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعزُّ من ذلك. قلت: فجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك. قال: ثُمَّ قال: قال الله: يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك»[١١٠].

وأشار البرقي في «المحاسن» إلى حديث يبيّن أن الله تعالى لم يجبر عباده على أداء أعمال ليست لهم القدرة عليها، ولم يفوّض الأمور إليهم تفويضًا مطلقًا[١١١]. فالروايات المنقولة عن مشايخ قم تكشف عن كون علماء الإمامية

قائلين بنفي الجبر والتفويض في الأمور التكوينية في عصر حضور الأئمة عليهم السلام.

رؤية علماء الإمامية في مدرسة بغداد الكلامية تغيّرت بخصوص عصر الحضور، فأشار الشيخ المفيد إلى حقيقة الجبر بأنه إيجاد فعل في الخلق من غير أن يكون لهم القدرة على دفعه والامتناع من وجوده، فحينما يؤدّي الإنسان عملًا وهو مكره ومغلوب عليه دون امتلاكه لاختيار تركه، فحينئذٍ يقع الجبر[١١٢]. وفسّر التفويض بمعنى إزالة المنع والحظر عن أفعال العباد وإباحتها.

ووضّح الواسطة بين هاتين النظرتين (الأمر بين الأمرين) بأن الله تعالى أعطى الخلق قدرة على أعمالهم، ومكّنهم من أداء الأفعال، وعيَّن حُدُودًا وقيودًا لتأدية تلك الأفعال، ونهاهم عن ارتكاب القبائح والمعاصي بالتخويف والوعيد بالعذاب، فالجبر باطل من جهة قدرتهم على أداء الأفعال، والتفويض باطل من جهة أنهم نهوا عن ارتكاب المعاصي ووضعت لأفعالهم قيود وحدود؛ لأن الأمور لم تفوّض إلى البشر[١١٣].

وفي حديث «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[١١٤] فَسَّرَ الشيخُ المفيدُ التفويضَ بِمعنَى الإباحة الناظرة إلى نفي التفويض التشريعي[١١٥].

السيد المرتضى نسج على منوال الشيخ المفيد فاعتبر المقصود من «لا جبر» هو نفي الجبر في الأمور التكوينية، و«لا تفويض» نفيه في الأمور التشريعية[١١٦]، فللإنسان اختيار مطلق في أفعاله والأمور التكوينية من وجهة نظره.

حسن بن سليمان الحلي اقتفى أثر محدّثي مدرسة قم في نفي الجبر والتفويض في الأمور التكوينية، فروى أن الإمام الصادق عليه السلام سئل: هل «فوّض الله تعالى الأمر إلى العباد؟ فقال: الله أكرم من أن يفوّض إليهم»[١١٧]، كما

قال: «واللّه أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[١١٨].

هذه الروايات في الحقيقة تبيّن أن شأن اللّه سبحانه ومنزلته أجلّ وأرفع من تفويض الأمور لخلقه، وأن يؤدّي عباده أفعالًا في سلطانه خارجة عن إرادته.

وروى حسن بن سليمان حديثًا عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه:«الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض وفضائل ومعاصي. فأمّا الفرائض: فبأمر اللّه، وبرضاء اللّه، وبقضاء اللّه وتقديره، ومشيئته وعلمه.

وأمّا الفضائل: فليست بأمرِ اللّه عزّ وجلّ، ولكن برضاء اللّه، وبقضاء اللّه، وبقدر اللّه، وبمشيئته وبعلمه.

وأمّا المعاصي: فليست بأمر اللّه عزّ وجلّ، ولكن بقضاء اللّه، وبقدر اللّه، وبمشيئته وبعلمه، ثمّ يعاقب عليها»[١١٩].

فالفرق بين المعاصي وبقية أعمال الإنسان هو في أمر اللّه ورضاه، وأما المشيئة والعلم والإرادة والقضاء والقدر الإلهي فهي متماثلة في هذه الأمور، وهذا يعني أن جميع ما يصدر عن الإنسان من أعمال ليس خارجًا عن علم اللّه ومشيئته، رغم أنه لم يأمر ببعض تلك الأعمال أو لم يوافق عليها.

وبناء عليه أشار ابن سليمان الحلي في رواية عن الإمام علي عليه السلام إلى أن إحدى خصوصيات اللّه هي نقض الهمم وفسخ العزائم، حيث قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام «فقال له يا أمير المؤمنين، بما عرفت ربّك؟ فقال عليه السلام: بفسخ العزم، ونقض الهمم، لمّا أن هممت حال بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، فعلمت أن المدبّر غيري»[١٢٠]، فالحديث يكشف عن حقيقة أن اللّه يمنع الإنسان أحيانًا عن إنجاز بعض الأمور ويغيّر قراره ونيته، فعرقلة قصده وعزمه نموذج جلي لمعارضة أهل البيت عليهم السلام لرأي المعتزلة في بحث التفويض، ويُثبت أن الإنسانَ ليس مُختارًا مطلقًا في أموره.

كما رَوَى حَديثًا عن رسول الله ﷺ بيّن فيه أن الله لا يأمر بالفحشاء والمعاصي، ولكنهما ليسا بخارجين عن سلطته وقدرته، وكذلك لا يخرج الشر في العالم عن مشيئته[١٢١]. هذا الحديث هو في الحقيقة ردّ حازم على تفويض المعتزلة؛ لأن النبي الكريم ﷺ صرّح فيه بأن «من زعم أن الخير والشرّ بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه» وذكر أيضًا: «ومَنْ زعم أنَّ المعاصي بغير قوَّة الله فقد كذبَ على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار». وبعبارة مغايرة: إن معاصي العباد تتحقق في سعة قدرة الله الذي يمكنه منع عباده من ارتكابها.

ينبغي الالتفات إلى أن مقابلة الجبر للتفويض في حديث: «لاجبر ولا تفويض» يُفهم منها أن القصد من التفويض هو التفويض التكويني لا التشريعي[١٢٢]، وبعبارة أخرى: يمكن توضيح الحديث بهذا النحو: أن الله سبحانه لم يجبر عباده في أفعالهم، ولكنه في الوقت نفسه لم يفوّض كلّ الأمور إليهم أيضًا؛ ولذا فسياق الحديث يُسعف بأن نستشفّ من أنه مثلما يُرفض الجبر بهيئته التكوينية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فتفويض الأمور التكويني للعباد باطل أيضًا، ولا يجوز تفسير قسم من الحديث من حيث التكوين، وقسمه الآخر من حيث التشريع.

## الخلقة النورية

الخلقة النورية للأئمة عليهم السلام من البحوث الاختلافية المهمة لدى الإمامية، ولا يمكن حصره في تيار الرواة المتهمين بالغلو؛ لأنه وقع في أسانيد هذه المجموعة من الروايات رواة متعددون من الكوفة وقم وهم ليسوا بمغالين، وبخاصة ثمة أفراد في مدرسة قم الحديثية يتصدرون خط المواجهة مع الغلاة وجاؤوا في طرق روايات الخلقة النورية، ولكن ينبغي الانتباه أيضًا إلى أن

المغالين من الرواة لهم اهتمام أكثر بنقل الروايات المشار إليها.

محدّثو مدرسة قم سلّموا بالخلقة القديمة للأئمة عليهم السلام وبحياتهم ونطقهم في عالم النور أيضًا، فنقل الكليني في «الكافي» روايات تبيّن إحداها أن «الله أول ما خلق خلق محمد صلى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله... وكان مؤيدًا بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته»[١٢٣].

كما نقل حديثًا آخر عن علي بن الحسين عليه السلام قال فيه: «إن الله خلق محمدًا وعليًّا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحًا في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدسونَه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»[١٢٤].

الشيخ الصدوق أَيضًا نقل في «علل الشرائع» حديثًا عن الرسول صلى الله عليه وآله ذكر فيه أنَّ الله تعالى خلقه وعليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على مثال أشباح نور قُدَّام العرش يُسبِّحونَ الله تعالى ويحمدونه ويقدّسونه ويمجّدونه[١٢٥].

وروى كذلك حديثًا «عن حبيب بن مظاهر الأسدي (بيض الله وجهه) أنه قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: أي شيء كُنتم قبلَ أنْ يخلقَ الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام؟ قال: كنا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن، فنعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد»[١٢٦].

استنادًا إلى هذه الأحاديث ونظائرها آمن محدّثو قم بخلقة أهل البيت عليهم السلام النورانية، واعتقدوا كذلك بأنهم أنوار ذات حياة ونطق شُغلت بذكر الله وحمده.

عارض الشيخ المفيد من مدرسة بغداد الخلقة القديمة للأئمة عليهم السلام، ولكنه نقل في «المسائل السروية» رواية عن خلقة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من نور،

فذكر «أن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحًا يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: إنها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءً ولا أرضًا»[١٢٧].

وبعدها وضّح أن الله أراد فقط أن يُعلم آدم بأنه سوف تكون له مثل هذه الذرية وينبغي عليه تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك مقدمة لفرض طاعتهم.

واعتقد المفيد نفسه في «المسائل العكبرية» أن أنوار أهل البيت عليهم السلام في ذلك العالم صور ليس لها حياة ونطق، بل هي أمثلتهم وصورهم البشرية في المستقبل، فتشير إلى أنهم سوف يمتلكون مثل هذه الصور بعد الخلق[١٢٨].

وفي الحقيقة على الرغم من أن الشيخ المفيد نقل رواية الخلقة النورانية للمعصومين عليهم السلام، ولكنه بتوضيحه لعدم نطق ذواتهم المقدسة وحياتهم، رفض الحياة القديمة لهم، وعدّ ذكرهم لمجرد احترامهم وإكرامهم وإعلام آدم بمنزلتهم. ومع هذا رآى أن كتابة أسمائهم على العرش وتوسّل آدم عليه السلام بهم وقبول توبته، لا يخالف العقل ولا يُضاد الشرع ولا يصحّ إنكاره.

وقد ضمَّنَ حسن بن سليمان الحلي كُتُبَهُ روايات في الموضوع تكشف عن تأييده لمحدِّثي قُم في مقابل المتكلّمين، فنقل رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في كتابه «المحتضر» حيث قال: «إن الله عزّ وجلّ كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوَّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمدًا وعليًّا، فلم يزالا نورين أوّلين ولم يكن شيء قبلهما، ولم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين: في عبد الله وأبي طالب...»[١٢٩].

ونقل في «تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة» حديثًا بشأن

الأئمة عليهم السلام، فأشار إلى خلقهم من نور فضلًا عن الخلقة النورانية للنبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، حيث ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام أنه قال: «إن الله خلق محمدًا وعليًّا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحًا في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله ويقدّسونه، وهم الأئمة الأحد عشر من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»[١٣٠].

فاعتقد ـ على العكس من الشيخ المفيد الذي رأى أنَّ أنوارَ أهل البيت عليهم السلام ذواتًا خالية من الحياة والنطق ـ بأن للأئمة عليهم السلام حياة قديمة، واتّفق مع محدّثي الإماميَّة في وجهة نظرهم، وعدَّ وجودَ هذه الروايات أحد ملاكات أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة.

## حضور المعصومين عليهم السلام لدى المحتضَر

من الموضوعات التي أشكل فيها حسن بن سليمان الحليُّ مباشرةً على الشيخ المفيدِ ونَقَدَ كلامَهُ: حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بجوار المحتضَر ورؤيته لهم في أثناء وفاته.

فذكر الشيخ المفيد في «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» أن موضوع حضور المعصومين عليهم السلام لدى المحتضَر مجمع عليه في مذهب الإمامية، ونقل عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام روايات متواترة في هذا الباب، ولكنه عرض رأيًا مخالفًا لإجماع الإمامية وروايات أهل البيت عليهم السلام المتواترة في الموضوع:

فهو يَعدّ حضورهم غير جسمي، ورفض رؤيتهم بالعين، واعتقد بأنه لا ينبغي الأخذ بظاهر الروايات في هذا الباب، وفسر الأحاديث المنقولة بأن المحتضر حين وفاته يجد في نفسه علامات وأعراضًا ناتجة عن اعتقاده بولاية أهل البيت عليهم السلام أو الشك فيها وعداوته لهم والتقصير في حقهم. ومعنى روايات

هــذا البحث ليس رؤية المحتضَر للمعصومــين عليهم السلام، بل إنه يعي في أثناء موته نتيجة اعتقاده بولاية الأئمة عليهم السلام أو شكّه في أهل البيت عليهم السلام وعداوته لهم[١٣١].

أجاب حسنُ بنُ سُــليمان الشيخَ المفيدَ فألَّفَ كتابَ «المحتضر» ونقد آراءه مســتندًا إلى أدلة عديدة. وأول إشــكالٍ له: ماهو دليل الشيخ المفيد على هذا التأويل؟ وهل هو مســتند إلى الآيات والروايــات لكي نعتمد عليه وننقاد له، أو أنه مأخوذ من غير الكتاب والسنة؟ واستشهد بحديث الإمام الصادق عليه السلام: «من أخــذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومــن أخذ دينه من الكتاب والسنّة زالت الجبال ولم يزل»[١٣٢].

إشكاله الآخر على الشيخ: بأي دليل اعتبر المفيد أن سبب الرؤية هو اتصال أشــعة الضوء بين الرائي والمرئي؟ وعلى فرض أن ذلك الســبب كما وصفه، فمن أين يعلم أن هذا الحكم يجري أيضًا بعد الموت وفي عالم البقاء[١٣٣]؟

ثــم أَلمَحَ إلى حَديث «لا تقــدّر عظمة الله على عقلــك فتهلك، فقدرته بلا كيــف، ولا يحيط بهــا العلم»[١٣٤] ووجّه ســؤاله إلى منكــر رؤية المحتضر للمعصومــين عليهم السلام فقال: «هل يقدر الله ســبحانه أن يُــري المحتضرين الحُجَجَ (صلــوات الله عليهم) عند الممات وبعده كما أقدر النائم أن يرى من يراه في أبعــد البلاد في حياة المرئي وبعد موته علــى صورته وقالبه الذي كان يعرفه بــه... أو لا يقدر؟ لا ســبيل إلى إنكار القدرة، فإذا جــاز وقوعها، فلا يجوز تأويله والعدول عن الظاهر من غير ضرورة ولا امتناع»[١٣٥].

ولإثبات الموضوع عرض في كتابه «المحتضر» أدلة وشواهد مختلفة، فأشار في البدء إلى روايات تُثبت جواز رؤية المعصومين في حياتهم وبعد مماتهم، منها: ما نقله عن «الكافي»[١٣٦] عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام قــال لأبي بكر يومًا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ ﴾[١٣٧] فأشهد أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا، والله ليأتينّك فأيقن إذا جاءك، فإن الشيطان لا يتمثّل به. فأخذ علي بيد أبي بكر فأراه النبي ﷺ فقال له: يا أبا بكر، آمن بعلي وبأحد عشر من ولده، إنهم مثلي إلا النبوة، وتب إلى الله مما في يدك، فإنه لا حقّ لك فيه. قال: ثم ذهب فلم يُرَ»[١٣٨].

كما نقل حديثًا آخر عن «بصائر الدرجات»[١٣٩] لمحمد بن الحسن الصفّار القمي «عن عباية الأسدي قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رثّ الهيئة، وأمير المؤمنين عليه السلام مقبل عليه يكلّمه، فلّما قام الرجل قلت: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي أشغلك عنّا؟ قال عليه السلام: هذا وصي عيسى عليه السلام»[١٤٠].

ونقل أيضًا عن الصدوق[١٤١] رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيها: «من أحبّ لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقال أصحابه: هلكنا يا ابن رسول الله، فإنا لا نحبّ الموت. فقال عليه السلام: ذاك عند معاينة رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) عند الموت، ما من ميت يموت إلا حضر عنده محمد وعلي (صلوات الله عليهما)، فإذا رآهما المؤمن استبشر وسرّ»[١٤٢].

فاستدلّ ابن سليمان الحلي بهذه الأحاديث على الحضور الجسماني للمعصومين عليهم السلام لدى المحتضَر، وصرَّحَ بأنَّ رؤيةَ الأَخيرِ لهم حَقيقةٌ، ولا يوجد تعذُّرٌ وامتناعٌ يجبرنا على حمل الرؤية على المجاز[١٤٣].

من الشواهد الأخرى التي ذكرها حسن بن سليمان الحلي على حضور المعصومين عليهم السلام عند المحتضَر ورؤيته لهم، هو نقل الله تعالى لروح الإنسان بعد موته إلى جسم مشابه لجسمه الدنيوي به يأكل ويشرب، وينعم بخيرات الله سبحانه، ذلك الجسم البرزخي مأوى روح المؤمن يناظر جسمه الدنيوي إلى درجة بحيث يعرفه كلّ من له معرفة سابقة به، وهذا من وجهة نظره يدلّ

على عدم استبعاد حضور المعصومين عليهم السلام بعد شهادتهم إلى هذه الدنيا، وجواز رؤيتهم بالعين[١٤٤].

ودليله التالي لإثبات رأيه هو زيارة الميت المؤمن والكافر لأسرته بعد موته، فروى أن إسحاق بن عمار سأل الإمام الكاظم عليه السلام «عن المؤمن يزور أهله؟ قال: نعم. قال: في كم؟ قال: على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كلّ يوم، ومنهم من يزور في كلّ يومين، ومنهم من يزور في كلّ ثلاثة أيام»[١٤٥].

المعراج الجسماني لرسول الله صلى الله عليه وآله من الشواهد التي استدل بها أيضًا على حضور المعصومين بأجسامهم، فأشار إلى حديث معراج الرسول إلى السماوات وركوبه للبراق، وتوضّئه من نهر صاد، وركوعه وسجوده مع الأنبياء والملائكة عند البيت المعمور في السماء الرابعة، وعطشه صلى الله عليه وآله وشربه من وعاء ماء في قافلة لقريش، ثم استدلّ بها على أن تلك الأمور من خصائص الجسم، وبناء عليه فعروج النبي صلى الله عليه وآله إلى السماوات ووصوله إلى قاب قوسين أو أدنى من الله سبحانه، كان بجسمه الشريف[١٤٦].

ويُستنتج تأسيسًا على ظاهر كلامه، أننا لو سلّمنا بالعروج الجسماني للرسول صلى الله عليه وآله، فليس ممتنعًا ومحالًا أن يحضر المعصومون عليهم السلام بعد شهادتهم لدى المحتضَر وأن يراهم بعينه.

وأشار في توضيح هذا الحديث إلى أنه مع انعدام الهواء الذي ينفذ منه شعاع البصر في المعراج، لم تتعذر الرؤية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبقية الأنبياء عليهم السلام، واستدلّ بآية ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١٤٧] على أن كل شيء بيد الله، فحينما يشاء شيئًا فلا بدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ[١٤٨].

## الهوامش

١. مدرسه كلامى كوفه (مدرسة الكوفة الكلامية)، مجلة نقد ونظر، العدد،٦٥ ١٣٩١ش/ ٢٠١٢م، ص ٢٣.
٢. معنا ومنزلت عقل در كلام اماميه (مفهوم العقل ومنزلته في كلام الإمامية): ٥١.
٣. مقالة مدرسه كلامى رى (مدرسة الري الكلامية)، مجلة نقد ونظر، العدد١، ١٣٩٤ش/ ٢٠١٥م، ص ٣.
٤. كشف المحجة لثمرة المهجة: ٦٤.
٥. الكافي١/ ١٦٣، والتوحيد: ٤١٠.
٦. سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
٧. سورة الطلاق، الآية ٧.
٨. الكافي١/ ١٦٣، والتوحيد: ٤١٤.
٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ٥١.
١٠. ١كمال الدين وتمام النعمة ١/ ٩٢.
١١. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٦١.
١٢. الكافي ٢/ ١٢.
١٣. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٦١.
١٤. الذخيرة في علم الكلام: ١٦٧ ـ ١٧٠.
١٥. الآيات ٧٦ ـ ٧٩ من سورة الانعام.
١٦. التبيان ٤/ ١٨٦.
١٧. الباب الحادي عشر: ١.
١٨. الباب الحادي عشر مع شرحيه النافع يوم الحشر ومفتاح الباب: ٣.
١٩. كشف المحجة لثمرة المهجة: ٤٨.
٢٠. المصدر نفسه.
٢١. سورة الروم، الآية ٣٠.
٢٢. مختصر بصائر الدرجات: ٣٩٨.
٢٣. المصدر نفسه: ٣٩٩.
٢٤. سورة لقمان، الآية ٢٥، وسورة الزمر، الآية ٣٨.
٢٥. مختصر بصائر الدرجات: ٤٠٠.
٢٦. المصدر نفسه: ٣٩٩.
٢٧. المصد نفسه: ٥٠١.
٢٨. مقالة بازخواني نظريه معرفت اضطراري در مدرسه كلامي اماميه در بغداد (إعادة قراءة لنظرية المعرفة الاضطرارية في مدرسة بغداد الكلامية)، في كتاب: جستارهايي در مدرسه كلامي بغداد (بحوث في مدرسة بغداد الكلامية): ٦٠٠.
٢٩. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ٨٦.
٣٠. الكافي ٣/ ٢١.
٣١. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
٣٢. الكافي ٣/ ٣٥.
٣٣. الكافي ٢/ ٤٢٣.
٣٤. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
٣٥. المسائل السروية: ٤٨.
٣٦. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
٣٧. المسائل السروية: ٤٨.
٣٨. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
٣٩. رسائل الشريف المرتضى ١/ ١١٤.
٤٠. المصدر نفسه.

٤١. التبيان ٥/ ٢٨ ـ ٢٩.
٤٢. مختصر بصائر الدرجات: ٣٨٣.
٤٣. المصدر نفسه: ٤٠٩.
٤٤. الكافي ١/ ٢٥٥، وبصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ٣٩٤.
٤٥. الكافي ١/ ٢٥٥، وبصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ١٣٥.
٤٦. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٧٠ ـ ٧١.
٤٧. انديشه هاي كلامي شيخ مفيد (الفكر الكلامي للشيخ المفيد): ١٤١.
٤٨. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٢٠ ـ ٣٦.
٤٩. المصدر نفسه: ٢٤.
٥٠. الرسائل العشر: ٣٢٨.
٥١. سورة الزمر، الآية ٩.
٥٢. تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة: ١٦٢.
٥٣. المصدر نفسه: ١٦٣.
٥٤. المصدر نفسه: ٢١٣.
٥٥. سورة الواقعة، الآيتان ٩ ـ ١٠.
٥٦. تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة: ١٩٥.
٥٧. المصدر نفسه: ١٨٩.
٥٨. المصدر نفسه: ١٧١.
٥٩. المصدر نفسه: ٢٠٣.
٦٠. لمصدر نفسه: ٢٠٤.
٦١. المصدر نفسه: ٢٠٠.
٦٢. المصدر نفسه: ٢٠٧.
٦٣. المصدر نفسه.
٦٤. تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة: ٢٠٨.
٦٥. المصدر نفسه.
٦٦. المصدر نفسه: ٢٣٣.
٦٧. المصدر نفسه: ٢٤٧.
٦٨. المصدر نفسه: ٢٦٨.
٦٩. تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة: ٢٢٩.
٧٠. المصدر نفسه: ٢٣٠.
٧١. المصدر نفسه.
٧٢. الكافي ١/ ٢٧٧.
٧٣. الكافي ١/ ٤٦٢.
٧٤. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ٣٣٣ ـ ٣٤٠.
٧٥. المصدر نفسه: ٣٤١.
٧٦. مقالة گستره علم امام از منظر كليني وصفار (مجال علم الإمام من منظار الكليني والصفار)، في كتاب جستارهايي در مدرسه كلامي قم (بحوث في مدرسة قم الكلامية): ٢٠٦ ـ ٢٢٧.
٧٧. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٦٧.
٧٨. المصدر نفسه: ٦٨.
٧٩. رسائل الشريف المرتضى ١/ ١٠٥.
٨٠. مختصر البصائر: ٥٧.
٨١. المصدر نفسه: ٦٠ و٦٢.
٨٢. المصدر نفسه: ٦٢.
٨٣. مختصر البصائر: ١٨٥.
٨٤. المصدر نفسه: ٣١٤.

٨٥. المصدر نفسه: ١٩٨.
٨٦. المصدر نفسه: ٣١٥.
٨٧. المصدر نفسه.
٨٨. المحتضر: ٢٢٦ و٢٢٧.
٨٩. المصدر نفسه: ٢١٣ ـ ٢١٤.
٩٠. سورة الحجر، الآية ٧٥.
٩١. المحتضر: ٢١٤.
٩٢. الكافي ١/ ١٥٠.
٩٣. التوحيد: ٣٣٤.
٩٤. اوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٥٤.
٩٥. مختصر البصائر: ٣٦٩.
٩٦. المصدر نفسه.
٩٧. الكافي ١/ ١٥١.
٩٨. اعتقادات الإمامية: ٣٠.
٩٩. تصحيح اعتقادات الامامية: ٤٩.
١٠٠. سورة البقرة، الآية ١٨٥.
١٠١. سورة النساء، الآية ٢٨.
١٠٢. سورة النساء، الآية ٢٦.
١٠٣. تصحيح اعتقادات الامامية: ٥١.
١٠٤. مختصر بصائر الدرجات ١/ ٣٤٨ـ٣٤٩.
١٠٥. المصدر نفسه.
١٠٦. المصدر نفسه: ٣٤٩.
١٠٧. وهو ما رواه الكليني في الكافي ١/ ١٥١ حيث قال: «عن أبي حسن عليه السلام قال: إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء».
١٠٨. مقالة مباني فراموش شده اماميه نخستين درباره اراده الهي (الأصول المنسية للإمامية الأوائل في الإرادة الإلهية)، في كتاب: جستارهايي در مدرسه كلامي كوفه (بحوث في مدرسة الكوفة الكلامية): ٢٨٧- ٣٠٧.
١٠٩. الكافي ١/ ١٥٩.
١١٠. الكافي ١/ ١٥٧.
١١١. المحاسن ١/ ٢٩٦.
١١٢. تصحيح اعتقادات الإمامية: ٤٦.
١١٣. المصدر نفسه: ٤٧.
١١٤. الكافي ١/ ١٦٠.
١١٥. تصحيح اعتقادات الإمامية: ٤٦.
١١٦. رسائل الشريف المرتضى ١/ ١٤٠.
١١٧. مختصر بصائر الدرجات: ٣٥١.
١١٨. المصدر نفسه.
١١٩. لمصدر نفسه: ٣٥٩.
١٢٠. المصدر نفسه: ٣٤٧.
١٢١. المصدر نفسه: ٣٤٨.
١٢٢. مقالة چگونگي مواجهه شيخ مفيد با ميراث حديثي اماميه (كيفية تعامل الشيخ المفيد مع التراث الحديثي للإمامية)، في كتاب: جستارهايي در مدرسه كلامي بغداد (بحوث في مدرسة بغداد الكلامية): ٥٣٤.
١٢٣. الكافي ١/ ٤٤٢.
١٢٤. الكافي ١/ ٥٣١.
١٢٥. علل الشرائع ١/ ٢٠٩.
١٢٦. علل الشرائع ١/ ٢٣.
١٢٧. المسائل السروية: ٣٩.
١٢٨. المسائل العكبرية: ٢٨.
١٢٩. المحتضر: ١٩٠ ـ ١٩١.

١٣٠. تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة: ١٩٥.

١٣١. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٧٤.

١٣٢. المحتضر: ١٦.

١٣٣. المحتضّر: ١٧.

١٣٤. المصدر نفسه.

١٣٥. المصدر نفسه: ١٦.

١٣٦. الكافي ١/ ٥٣٣.

١٣٧. سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

١٣٨. المحتضر: ١٨.

١٣٩. بصائر الدرجات: ٢٨٢

١٤٠. المحتضر: ٢٠

١٤١. معاني الأخبار: ٢٣٦، مع بعض الاختلاف.

١٤٢. المحتضر: ٢٠ ـ ٢١.

١٤٣. المصدر نفسه: ٢١.

١٤٤. المصدر نفسه: ٣١.

١٤٥. المصدر نفسه: ٣٩.

١٤٦. المصدر نفسه: ٤٢ـ ٤٣.

١٤٧. سورة يس، الآية ٨٢.

١٤٨. المحتضر: ٤٢.

## المصادر والمراجعُ


الكتب:

القرآن الكريم

١. الاعتقادات، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، ط٢، قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢. انديشه هاي كلامي شيخ مفيد (الفكر الكلامي للشيخ المفيد)، مارتين مكدرموت، ترجمة أحمد آرام، طهران، جامعة طهران، ١٣٧٢ش/١٩٩٣م.

٣. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٤. الباب الحادي عشر مع شرحيه النافع يوم الحشر ومفتاح الباب، العلَّامة الحليّ الحسن بن يوسف بن مطهر (ت ٧٢٦هـ)، شرح الفاضل المقداد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسين الأسدي (ت٨٢٦هـ) وأبي الفتح بن مخدوم خادم الحسيني العربشاهي (ت ٩٧٦هـ)، طهران: مؤسسة مطالعات اسلامي، ١٣٦٥ش/١٩٨٦م.

٥. الباب الحادي عشر، العلَّامة الحلي الحسن بن يوسف بن مطهر (ت ٧٢٦هـ)، طهران: مؤسسة مطالعات اسلامي، ١٣٦٥ش/١٩٨٦م.

٦. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، محمد بن حسن الصفار القمي (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق الميرزا محسن كوچه باغي، ط٢، قم: مكتبة السيد المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٧. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد قصير العاملي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت.

٨. تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، تحقيق حسين دركاهي، قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٩. تفضيل الائمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة، حسن بن سليمان الحلي (كان حيًّا ٨٠٢هـ)، تحقيق مشتاق المظفر، قم: مكتبة العلَّامة المجلسي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م.

١٠. التوحيد، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق السيد هاشم الحسيني، قم، جماعة المدرسين، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

١١. جستارهايي در مدرسه كلامي بغداد (بحوث في مدرسة بغداد الكلامية)، مجموعة باحثين، إشراف محمد تقي

سبحاني، مقالة چكونكي مواجهه شيخ مفيد با ميراث حديثي اماميه (كيفية تعامل الشيخ المفيد مع التراث الحديثي للإمامية)، عبد الهادي اعتصامي، قم: دار الحديث، ١٣٩٥ش/٢٠١٦م.

١٢. جستارهايي در مدرسه كلامي قم (بحوث في مدرسة قم الكلامية)، مجموعة باحثين، إشراف محمد تقي سبحاني، مقالةگستره علم امام از منظر كليني وصفار (مجال علم الإمام من منظار الكليني والصفار)، عبد الرضا حمادي، قم: دار الحديث، ١٣٩٥ش/٢٠١٦م.

١٣. جستارهايي در مدرسه كلامي اماميه در بغداد (بحوث في مدرسة بغداد الكلامية)، مجموعة باحثين، إشراف محمد تقي سبحاني، مقالة بازخواني نظريه معرفت اضطراري در مدرسه كلامي اماميه در بغداد (إعادة قراءة لنظرية المعرفة الاضطرارية في مدرسة بغداد الكلامية)، علي أميرخاني، قم: دار الحديث، ١٣٩٦ش/٢٠١٧م.

١٤. جستارهايي در مدرسه كلامي كوفه (بحوث في مدرسة الكوفة الكلامية)، مجموعة باحثين، إشراف محمد تقي سبحاني، مقالة مباني فراموش شده اماميه نخستين درباره اراده الهي (الأصول المنسية للإمامية الأوائل في الإرادة الإلهية)، محمد تقي سبحاني وحسين نعيم آبادي، قم: دار الحديث، ١٣٩٦ش/٢٠١٧م.

١٥. الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى السيد علي بن حسين بن موسى (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٦. رسائل الشريف المرتضى، السيد علي بن حسين بن موسى (ت ٤٣٦هـ)، إعداد السيد مهدي رجائي، قم: دار القرآن الكريم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٧. الرسائل العشر، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ط٢، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٨. علل الشرائع، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، قم: مكتبة الداوري، ١٣٨٥ش/٢٠٠٦م.

١٩. الكافي، محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، ط٤، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٢٠. كشف المحجة لثمرة المهجة، علي بن موسى بن طاوس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق محمد حسون، ط٢، قم: دار بوستان كتاب، ١٣٧٥ش/ ١٩٩٦٥م.

٢١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٢، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٢. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤/ ٢٨٠هـ)، تحقيق جلال الدين المحدث، ط٢، قم: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م.

٢٣. المحتضر، حسن بن سليمان الحلي(كان حيًّا ٨٠٢هـ)، تحقيق السيد علي أشرف، النجف: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٤. مختصر البصائر، حسن بن سليمان الحلي (كان حيًّا ٨٠٢هـ)، تحقيق مشتاق المظفر، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥. المسائل السروية، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، تحقيق صائب عبد الحميد، قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٦. المسائل العكبرية، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، تحقيق علي أكبر الإلهي الخراساني، قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٧. معنا ومنزلت عقل در كلام اماميه (مفهوم العقل ومنزلته في كلام الإمامية)، محمد جعفر رضائي، ط٢، قم: دار الحديث، ١٣٩٦ش/٢٠١٧م.

٢٨. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري (ت٣٢٤هـ)، ط٣، فرانكفورت، فرانز شتاينر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

## الدوريات:

١. مدرسه كلامي ري (مدرسة الري الكلامية)، السيد جمال الدين الموسوي، مجلة «نقد ونظر»، العدد ١، ١٣٩٤ش/٢٠١٥م، ص ٢٩ ـ ٥٣.

٢. مدرسه كلامي كوفه (مدرسة الكوفة الكلامية)، أكبر أقوام كرباسي، مجلة «نقد ونظر»، العدد ٦٥، ١٣٩١ش/٢٠١٢م، ص٣٨ ـ ٦٥.